سلسلة إصدارات مؤسسة الدليل
1

الأبعاد العقديّة في مضامين
الزيارة الأربعينيّة

مؤسسة الدليل
http://daleel-inst.com
www.facebook.com/daleel.inst

هويّة الكراس

اسم الكراسة: الزيارة الأربعينية
المؤلّف: الدكتور مصطفى عزيزي
المراجعة العلميّة: المجلس العلميّ في مؤسّسة الدليل
التقويم اللغويّ: علي گيم
تصميم الغلاف: محمدحسن آزادگان
الإخراج الفنّيّ :فاضل السوداني
الناشر: مؤسّسة الدليل للدراسات والبحوث العقديّة

حقوق الطبع والنشر محفوظةٌ لدى مؤسّسة الدليل

http://aldaleel-inst.com
www.facebook.com/aldaleel.inst

كلمة المؤسّسة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير الأنام والمرسلين أبي القاسم محمّدٍ وعلى آله الطيّبين الطاهرين، وبعد.

تعدّ المنظومة الفكريّة العقديّة من أهمّ دعائم شخصيّة الإنسان وتميّزه البشريّ؛ فهي الّتي تحدّد نظرته العامّة للكون وعلاقته به، ولها تأثيرٌ مباشرٌ على مساره السلوكيّ وطبيعة تعاطيه مع محيطه ونمط الحياة الّتي يعيشها، هٰذا على صعيد الفرد، وأمّا على صعيد المجتمع

فإنّ المنظومة الفكريّة العقديّة تنعكس على مجمل العلاقات بين أفراد المجتمع، كما أنّها تحدّد نوع النظم السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة الّتي تحكم تلك العلاقات.

وعلى هٰذا فالمنظومة الفكريّة والعقديّة تتحكّم بمصير الإنسان، فإمّا أن تصنع له سعادةً واستقرارًا وحياةً كريمةً، وإمّا أن تغرقه في شقاءٍ وفوضى وإذلالٍ.

فينبغي للإنسان أن يعتني بعقيدته، وأن يطمئنّ لسلامتها من الانحراف والتشويه، وأن يبادر لمعالجة ما يشوبها بسبب الشبهات.

فاليوم وفي ظلّ الظروف الراهنة الّتي يعيشها العالم الإسلاميّ بشكلٍ عامٍّ، وبلدنا العراق بشكلٍ خاصٍّ، ندرك أنّ هناك تهديدًا كبيرًا للفكر والعقيدة الإسلاميّة الحقّة ومن دوائر مختلفةٍ، ونستشعر حاجة مجتمعنا الماسّة والملحّة لبيان معالم العقيدة الصحيحة،

ورفع الشبهات الّتي ألبست على بعض الناس عقائدهم.

من هنا جاء مشروع **مؤسّسة الدليل للبحوث والدراسات العقديّة** التابعة للعتبة الحسينيّة المقدّسة؛ تلبيةً لهٰذه الحاجة، وليحمل على عاتقه مسؤوليّة التصدّي لدفع الشبهات، والتأكيد على العقائد الحقّة بالوسائل والإمكانيّات المتاحة؛ وذٰلك للمساهمة في سدّ الفراغ الفكريّ العقديّ الّذي يعاني منه المجتمع.

ومن أبرز تلك الوسائل المعتمدة في مشروعنا أسلوب البحث وفق رؤيةٍ علميّةٍ موضوعيّةٍ، وبخطابٍ سلسٍ شيّقٍ يتناغم مع أغلب شرائح المجتمع، فكان قرار المجلس العلميّ الموقّر في المؤسّسة إطلاق مشروع سلسلة الكراسات العقديّة، وهي مؤلّفاتٌ موجزةٌ في شكلها وحجمها، كبيرةٌ في مضمونها وأهدافها، صمّمت لمعالجة موضوعاتٍ محدّدةٍ وحسب الحاجة الفعليّة.

وبما أنّنا نعيش أيّام الأربعينيّة الخالدة لسيّد الشهداء A، حيث الحضور المليونيّ والأجواء الروحيّة والمعنويّة العالية، وجدنا من المناسب إصدار كرّاسةٍ في المناسبة، مستوحاةٍ من المضامين العقديّة في متن الزيارة الأربعينيّة، فجاءت هٰذه الكرّاسة الّتي بين أيديكم؛ لتكون بذرةً طيّبةً في هٰذا الاتّجاه.

وفي النهاية لا يفوت المؤسّسة أن تشكر عضو المجلس العلميّ فيها الأستاذ الدكتور **مصطفى عزيزي علويجه**؛ لما بذله من جهدٍ قيّمٍ في كتابة هٰذا البحث، راجين له التوفيق والسداد.

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ وآله الطيّبين الطاهرين.

المقدّمة

لا شكّ أنّ الأدعية والزيارات المأثورة عن أئمّة أهل البيت Δ مليئةٌ بكنوز المعارف والتعاليم الحقّة في العقيدة والأخلاق والسلوكيّات الفرديّة والاجتماعيّة، ولعلّ أبرز هٰذه الزيارات زيارة المولى أبي عبد الله الحسين A، ومن أهمّها زيارة الأربعين المأثورة عن الإمام الصادق A.

والزيارة - عند متشرعة الإماميّة - لفظ مشتركٌ بين معنيين هما:

الأوّل: الظاهرة السلوكيّة المتمثلة بالمسير نحو حرم أولياء الله – تعالى – والحضور في مشاهدهم المقدّسة.

الثاني: النصوص المأثورة عن المعصومين Δ الّتي ينبغي قراءتها عند أعتابهم وفي مشاهدهم الطاهرة.

والمقصود من الزيارة الأربعينيّة في هٰذه الكرّاسة هو المعنى الثاني، أي النصّ الوارد في زيارة الإمام الحسين A في يوم العشرين من شهر صفر، وإن كانت الزيارة بحسب المعنى الأوّل أعلاه تمهّد الأرضيّة لقراءة النصوص المأثورة، ولها أهمّيّتها البالغة، إذ إنّ الله جعل أفئدةً من الناس تهوي إلى أبي عبد الله الحسين A في ذكرى أربعينيّته الخالدة الّتي هي أعظم تجمّعٍ عالميٍّ سلميٍّ، إذ يأتي عشّاق أبي عبد الله الحسين A مشيًا على الأقدام من مختلف أرجاء العالم ومن كلّ فجٍّ عميقٍ ليشهدوا منافع لهم، ومن تلك المنافع تعميق العُلْقَةِ العقديّة وترسيخها، وإزالة الشبهات الفكريّة والاعتقاديّة من الأذهان. فهٰذه فرصةٌ ثمينةٌ لترسيخ الأبعاد العقديّة في مضامين الزيارة الأربعينيّة وتبيينها،

من التوحيد ومعرفة الله والنبوّة الإمامة والمعاد.

ولا شكّ أنّ الاطّلاع على الأبعاد العقديّة المتضمّنة في الزيارة الأربعينيّة خاصّةً، وفي سائر زيارات سيّد الشهداء وباقي الأئمّة Δ عامّةً، تجعل الزائر على بصيرةٍ ومعرفةٍ أثناء أدائه الزيارة؛ ليكون
مصداقًا حقيقيًّا لعنوان (من أتى الحسين A عارفًا بحقّه)، الوارد في
حديث الإمام موسى بن جعفرٍ A: «مَنْ أَتَى الْحُسَيْنَ A عَارِفًا بِحَقِّهِ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ»[1]، أو ما ورد عن الإمام
الصادق A: «مَنْ أَتَى الْحُسَيْنَ A عَارِفًا بِحَقِّهِ كَتَبَهُ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ»[2].

فينبغي لزوّار الأربعين أن يستحضروا هٰذه الأبعاد العقديّة والمعارف التوحيديّة؛ لأنّ الهدف الأسمى في النهضة الحسينيّة هو استنقاذ العباد من الجهالة وحيرة الضلالة، كما ورد في الزيارة الأربعينيّة: «فَأَعْذَرَ فِي الدُّعَاءِ، وَمَنَحَ النُّصْحَ، وَبَذَلَ مُهْجَتَهُ فِيكَ؛ لِيَسْتَنْقِذَ عِبَادَكَ مِنَ الْجَهَالَةِ وَحَيْرَةِ الضَّلَالَةِ»[3].

كما ينبغي لزوّار الأربعين أن يسعوا في رفع مستوى المعرفة والبصيرة والرقيّ نحو الهداية والقيم الحسينيّة، ﴿قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي...﴾[4]؛ لتكون زيارتهم مفعمةً بالمعرفة والإيمان.

وقد سمّي يوم العشرين من شهر صفرٍ بأربعين الحسين A؛ وذٰلك لمضيّ أربعين يومًا على مقتله A، وهو اليوم الّذي ورد فيه جابر بن عبد الله الأنصاريّ صاحب النبيّ 9 من المدينة إلى

1- الحرّ العامليّ، محمد بن الحسن ، وسائل الشيعة، ج 14، ص 417.
2- المصدر نفسه، ج 14، ص 418.
3- ابن طاووس، عليّ بن موسى، الإقبال بالأعمال الحسنة، ج 2، ص 590.
4- سورة يوسف: 108.

كربلاء لزيارة قبر الحسين A، فكان أوّل من زاره من الناس[1].

ولعدد الأربعين أهمّيّةٌ خاصّةٌ، ويدلّ على ذٰلك موارد استعمال مفردة (أربعين) في النصوص الدينيّة[2].

وفي الكرّاسة الّتي بين أيديكم قراءةٌ في الأبعاد والمضامين العقديّة في الزيارة الأربعينيّة المأثورة عن الإمام الصادق A، الّتي تشتمل على أصول مذهب أهل البيت Δ وأسسه العقديّة، فينبغي تسليط الضوء عليها لمن يتشرّف بزيارة أبي عبد الله الحسين A في الأربعين.

وقبل الدخول في صلب الموضوع ينبغي لنا أن نبيّن باختصارٍ مشروعيّة الزيارة الأربعينيّة وأهمّيّتها وآثارها الفرديّة والاجتماعيّة.

مشروعيّة الزيارة الأربعينيّة

1- الكفعميّ، إبراهيم بن عليّ العامليّ، المصباح، ص 489.

2- من موارد استعمال مفردة (أربعين) في النصوص الدينيّة ما يلي:

أ. كان ميقات النبيّ موسى A أربعين ليلةً: Πوَإِذْ واعَدْنا مُوسَى أَرْبَعينَ لَيْلَةً O [البقرة: الآية 51]

ب. حفظ أربعين حديثًا من أحاديث أهل البيت Δ: قَالَ النبي9: «مَنْ حَفِظَ مِنْ أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثًا يَنْتَفِعُونَ بِهَا بَعَثَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقِيهًا عَالِمًا». [وسائل الشيعة، ج 27، ص 93]

ج. الإخلاص أربعين صباحًا: قَالَ رَسُولُ اللهِ 9: «مَا أَخْلَصَ عَبْدٌ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - أَرْبَعِينَ صَبَاحًا إِلَّا جَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ». [عيون الأخبار الرضا A، ج 2، ص 69]

د. من بلغ الأربعين من عمره فليحذر من الله: قَالَ الصادق A: «إِذَا بَلَغَ أَحَدُكُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَلْيَأْخُذْ حِذْرَهُ مِنَ اللهِ». [مجموعة ورّام، ج 1 ، ص 34]

ه. بعثة النبيّ الأكرم محمّدٍ 9 في الأربعين من عمره الشريف.

و. أنّ تكميل النبيّ آدم A وتسويته كان في أربعين يومًا. [شرح أصول الكافي للمولى صالح المازندرانيّ، ج 2، ص 232]

ز. انقلاب النطفة في الرحم إلى مبدإ الصورة الإنسانيّة يكون في الأربعين. [المصدر نفسه]

لاخلاف في مشروعيّة زيارة الإمام الحسين A، بل وفي استحبابها، وقد وردت في هٰذه الزيارة نصوصٌ كثيرةٌ يظهر من بعضها الإلزام[1]، حتّى صرّح بعض الفقهاء بأنّها من ضروريّات المذهب أو الدين[2].

ويمكن الإشارة إلى وجه مشروعيّة زيارة الأربعين واستحبابها من خلال النقاط التالية:

أ- أنّ الزيارة الأربعينيّة تعدّ من الشعائر الحسينيّة المهمّة، والشعائر الحسينيّة تعدّ من شعائر الله، ﴿ذٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[3]؛ فتعظيم الزيارة الأربعينيّة من تقوى القلوب؛ لأنّ المقصود بشعائر الله علامات دين الله، والأعلام الّتي نصبها الله – تعالى – لطاعته[4]، كما في الآية الشريفة: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ...﴾[5]، فإنّ الصفا والمروة من العلامات الّتي تدلّ على الله وتذكّر به، وترشد العباد إلى عبوديّته، وكذٰلك زيارة الإمام الحسين A، بل إنّ الإمام الحسينA نفسه من شعائر الله؛ لأنّه يدلّ العباد على طاعة الله – تعالى – ومرضاته؛ لذا ورد في ألقاب أبي عبد الله الحسين A أنّه (الدَّلِيلُ عَلَى ذَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ)[6]، فهو علامةٌ ونبراسٌ لعبودية اللّه – تعالى – وزيارته تعظيمٌ لشعائر الله، وقد ذكر بعض الفقهاء أنّ التعظيم الّذي له مدخليّةٌ في حفظ مرتبة ذٰلك الشيء المحترم، وله ربطٌ في

1- انظر: النجفي، محمدحسن، جواهر الكلام، ج 20، ص 93-95.
2- انظر: الطوسيّ، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد.
3- سورة الحجّ: 32.
4- الطباطبائيّ، محمدحسين، الميزان في تفسير القرآن، ج 14، ص 373.
5- سورة البقرة: 158.
6- الإربليّ عليّ بن عيسى، كشف الغمّة، ج 2، ص 4.

احترامه فهو واجبٌ فعله محرّمٌ تركه[1]، وعدّوا هٰذا الاستدلال كافيًا في ثبوت الاستحباب لما نحن بصدده.

ب- أنّ زيارة الإمام الحسين A تعدّ من حُرُمات الله الّتي قال فيها تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُماتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾[2]، والمراد من حُرُمات الله ما لا يجوز انتهاكه، ويجب رعايته والقيام به، ويحرم التفريط فيه[3]، وممّا تقدّم ثبت أنّ زيارة الإمام الحسين A ممّا ينبغي رعايته ويحرم التفريط به، إذن هي من حرمات الله – تعالى – الّتي في تعظيمها الخير عند الله تعالى.

جـ - تعدّ زيارة الإمام الحسين A في الأربعين مصداقًا للهجرة إلى الله، إذ يخرج الزائر من بيته ابتغاء وجه الله ومرضاته؛ لتشييد كلمة الحقّ، وتضعيف كلمة الباطل: Π... وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَحِيمًاO[4]. وقد ورد في الزيارة المطلقة لأبي عبد الله الحسين A: «ألتمسُ كمال المنزلة عند الله، وثبات القدم في الهجرة إليك»[5].

د- أنّ الزيارة الأربعينيّة هي مصداقٌ لإظهار المودّة الواجبة لأهل البيت Δ؛ إذ يتحمّل زوّار الإمام الحسين A في هٰذه الذكرى الأربعينيّة المشاقّ والصعوبات، ويقطعون مسافاتٍ شاسعةً ليؤدّوا أجر الرسالة، ألا وهي المودّة في القربى: ﴿... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ

1- انظر: المراغيّ، عبد الفتّاح، العناوين الفقهيّة، ج 1، ص 562.
2- سورة الحجّ: 30.
3- الطبرسيّ، أبو عليّ الفضل بن الحسنٍ، مجمع البيان، ج 7، ص 130.
4- النساء: الآية 100.
5- المجلسيّ، محمدباقر، بحار الأنوار، ج 98، ص 152.

أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى...﴾[1]، و﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُم...﴾[2]. ويأتي الزوّار أيضًا ليلبّوا داعي الله، كما ورد في زيارة الإمام الحسين A: «لَبَّيْكَ دَاعِيَ اللهِ! إِنْ كَانَ لَمْ يُجِبْكَ بَدَنِي عِنْدَ اسْتِغَاثَتِكَ، وَلِسَانِي عِنْدَ اسْتِنْصَارِكَ، فَقَدْ أَجَابَكَ قَلْبِي وَسَمْعِي وَبَصَرِي، سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا»[3].

هـ - ما ورد عن أبي محمّدٍ الحسن بن عليٍّ العسكريّ A: «عَلَامَاتُ الْمُؤْمِنِ خَمْسٌ: صَلَاةُ إِحْدَى وَخَمْسِينَ، وَزِيَارَةُ الْأَربعين، وَالتَّخَتُّمُ فِي الْيَمِينِ، وَتَعْفِيرُ الْجَبِينِ، وَالْجَهْرُ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ»[4].

و- دعاء الإمام الصادق A في حقّ زوّار جدّه أبي عبد الله الحسين A في الأربعين، إذ قال A: «يَا مَنْ خَصَّنَا بالكرامَة اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَانِي، وَلِزُوَّارِ قَبْرِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ، الّذينَ أَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ، وَأَشْخَصُوا أَبْدَانَهُمْ، رَغْبَةً فِي بِرِّنَا، وَرَجَاءً لِمَا عِنْدَكَ فِي صِلَتِنَا، وَسُرُورًا أَدْخَلُوهُ عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ9، وَإِجَابَةً مِنْهُمْ لِأَمْرِنَا، وَغَيْظًا أَدْخَلُوهُ عَلَى عَدُوِّنَا، أَرَادُوا بِذٰلِكَ رِضْوَانَكَ. فَكَافِهِمْ عَنَّا بِالرِّضْوَانِ، وَاكْلَأْهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَاخْلُفْ عَلَى أَهَالِيهِمْ وَأَوْلَادِهِمُ الّذينَ خُلِّفُوا بِأَحْسَنِ الْخَلَفِ، وَاصْحَبْهُمْ، وَاكْفِهِمْ شَرَّ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَكُلِّ ضَعِيفٍ مِنْ خَلْقِكَ وَشَدِيدٍ، وَشَرَّ شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَأَعْطِهِمْ أَفْضَلَ مَا أَمَّلُوا مِنْكَ فِي غُرْبَتِهِمْ عَنْ أَوْطَانِهِمْ، وَمَا آثَرُونَا عَلَى أَبْنَائِهِمْ وَأَهَالِيهِمْ وَقَرَابَاتِهِمْ.

اللّٰهُمَّ إِنَّ أَعْدَاءَنَا عَابُوا عَلَيْهِمْ خُرُوجَهُمْ، فَلَمْ يَنْهَهُمْ ذٰلِكَ عَنِ النُّهُوضِ وَالشُّخُوصِ إِلَيْنَا خِلَافًا مِنْهُمْ عَلَى مَنْ خَالَفَنَا، اللّٰهُمَّ فَارْحَمْ تِلْكَ الْوُجُوهَ الّتي غَيَّرَتْهَا الشَّمْسُ، ارْحَمْ تِلْكَ الْخُدُودَ الّتي تَتَقَلَّبُ

1-سورة الشورى: 23.
2- سورة سبإ: 47.
3- ابن طاووس، عليّ بن موسى، الإقبال بالأعمال الحسنة، ج 3، ص 342.
4- المصدر نفسه، ص 353.

عَلَى قَبْرِ أَبِي عَبْدِ اللهِ A، وَارْحَمْ تِلْكَ الْأَعْيُنَ الّتي جَرَتْ دُمُوعُهَا رَحْمَةً لَنَا، وَارْحَمْ تِلْكَ الْقُلُوبَ الّتي جَزِعَتْ وَاحْتَرَقَتْ لَنَا، وَارْحَمْ تِلْكَ الصَّرْخَةَ الّتي كَانَتْ لَنَا»[1].

ز ـ سيرة المتشرّعة المستمرّة على مرّ العصور من أصحاب النبيّ الأكرم 9 والأئمّة الطاهرين Δ مثل جابر بن عبد الله الأنصاريّ E الّذي ورد كربلاء في يوم الأربعين من سنة إحدى وستّين للهجرة.

ومن مجموع ما تقدّم يظهر أنّ الزيارة الأربعينيّة مشروعةٌ وجائزةٌ بنصّ القرآن الكريم؛ لأنّها مصداقٌ واضحٌ لتعظيم شعائر الله وتعظيم حرماته سبحانه، كما أنّها من المودّة الواجبة لأهل البيت Δ الثابتة بنصّ الكتاب، وهي أيضًا مصداقٌ للهجرة إلى الله، وتدلّ عليها السنّة أيضًا، مضافًا إلى سيرة المتشرّعة كما تقدّم بيانه، وبناءً على ذٰلك أجمع الفقهاء على استحباب زيارة الأربعين[2]، وقد عقد الشيخ الحرّ العامليّ بابًا خاصًّا بزيارة الأربعين يحمل عنوان: (بَابُ تَأَكُّدِ اسْتِحْبَابِ زِيَارَةِ الْحُسَيْنِ A يَوْمَ الْأربعين مِنْ مَقْتَلِهِ وَهُوَ يَوْمُ الْعِشْرِينَ مِنْ صَفَرٍ)[3].

أهمّيّة الزيارة الأربعينيّة

أهميّة كلّ شيءٍ وقيمته تظهر من خلال آثاره ونتائجه، وللزيارة الأربعينيّة آثارها وبركاتها الفرديّة والاجتماعيّة المتميّزة والفريدة؛ فينبغي للزائر الكريم أن يلتفت إليها، ومن جملة تلك الآثار العظيمة:

ـ تعزيز روح التأسّي والاقتداء: فلو سألنا وجدان الزائر عن

1- ابن المشهديّ، محمّد بن جعفرٍ، المزار الكبير، ص 335.

2- انظر: الطوسيّ، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد، ج 2، ص 787؛ النجفي، محمدحسن، جواهر الكلام، ج 20، ص 93 - 95.

3- الحرّ العامليّ، محمد بن الحسن ، وسائل الشيعة، ج 14، ص 477.

سبب تحمّله كلّ هٰذه المشاقّ والمعاناة في سبيل أداء شعيرة الزيارة الأربعينيّة، فسنسمع لسان حاله يقول: إنّ قدوتنا الحسين مثالٌ للصبر والشجاعة والتضحية، وها نحن قد جئنا لنجدّد العهد والميثاق لأسوتنا وقدوتنا الإمام الحسين A.

- تعزيز روح المواساة: يعتقد الزائر الحسينيّ أنّ المشاركة في ملحمة الأربعين هي من أجل مواساة أهل البيت Δ في حزنهم ومصابهم، فتكون الزيارة في هٰذه المناسبة أسلوبًا رائعًا لإظهار العزاء والحزن ومواساة الإمام الحجّة A في مصيبة جدّه الغريب.

- إظهار المودّة والمحبّة والولاء لأهل بيت النبوّة Δ: لقد تجسّدت المودّة للقربى في المشي على الأقدام نحو حرم الإمام الحسين A في الزيارة الأربعينيّة؛ فكلّ خطوةٍ يخطوها الزائر الحسينيّ هي إظهارٌ لمودّة الإمام الحسين A وتأكيدٌ لمحبّته وولائه.

- أنّ هٰذه الزيارة أحد أهمّ العوامل لتتميم مكارم الأخلاق، وزرع السجايا الفاضلة في المجتمع: إذ تتجلّى في هٰذه المناسبة القيم الإنسانيّة الرفيعة كالتآخي والتناصر، والتآزر والبذل، والسخاء والإيثار، والتواضع والخدمة العامّة، والرفق والتسامح، والتكافل وكلّ معاني الخير والبرّ، فالأربعون بحقٍّ مدرسةٌ أخلاقيّةٌ كبرى لا تضاهيها مدرسةٌ من المدارس البشريّة الأخرى، ومهرجانٌ للفضائل الإنسانيّة بكلّ صورها وأشكالها.

ولعلّ من أهمّ هٰذه القيم قيمة الكرم والبذل الّتي يتحلّى بها الناس في هٰذه الأيّام المباركة؛ إذ يبذلون مالهم ووقتهم في خدمة زائري أبي عبد الله A، ومن ناحيةٍ أخرى يتحمّل الزائر مخاطر الطريق، ولا يخاف الإرهاب والقتل؛ فهو مستعدٌّ للتضحية والجود بالنفس في سبيل الإمام الحسين A، والجود بالنفس أقصى غاية الجود.

- تجلّي المعنويّات والعبادات: لا شكّ أنّ زائر الأربعين تزداد

رغبته في ذكر الله، ويزداد اشتياقه إلى عبادته والتضرّع بين يديه – سبحانه – ومناجاته آناء الليل وأطراف النهار، وهٰذه من بركات الزيارة العظيمة.

- تقوية عنصر الطاعة والانقياد لأهل البيت Δ: إذ يرى الزائر الحسينيّ نفسه في هٰذه الفترة منقادًا لأئمّة الهدى Δ أكثر ممّا كان عليه في سائر أيّام السنة.

- الزيارة فرصةٌ للقرب المعنويّ من المزور والاكتساب من أخلاقه والتحلّي بصفاته؛ لأنّ حقيقة الزيارة هي حضور الزائر عند المزور، والتسليم عليه والارتباط الروحيّ والقلبيّ به، والاستمداد من روحه لأجل جلب الخير أو دفع الضرر[1]. ولا شكّ فإنّ ذٰلك رهين شروطٍ روحيّةٍ ونفسيّةٍ يأتي على رأسها الإعراض عن متاع الدنيا وزينتها وزخرفها، واجتناب المعاصي والشهوات، وتطهير النفس من الشرك والرذائل[2]. فكلّما كانت الشروط والظروف مهيّأةً أكثر، كانت الزيارة ألذّ وأدوم وأشدّ تأثيرًا على روح الزائر.

- الزيارة فرصةٌ لتجديد التوبة ومراجعة الذات وإصلاح النفس وإعطاء العهد بذٰلك للإمام الحسين A.

- نبذ السلوكيّات غير الدينيّة كالعصبيّة والتكبّر: وهٰذا من أهمّ ثمرات الزيارة الأربعينيّة، فالزيارة تدعو الناس إلى نبذ التعصّبات القوميّة والطائفيّة، والتوحّد والتضامن تحت راية الإمام الحسين A، فحبّ الحسين A هو الّذي يجمع هٰذا الحشد الغفير الّذي ينتمي إلى جنسيّاتٍ ومذاهب شتّى تحت هذه الراية، بل إنّنا قد نرى أيضًا أتباعًا لأديانٍ أخرى غير الإسلام في هٰذه الزيارة الّتي

1- ابن سينا، الحسين، رسائل ابن سينا، ص 338؛ موسوعة زيارات المعصومين، ص52.
2- المصدر نفسه.

أخذت أبعادًا دينيّةً وإنسانيّةً واسعةً.

- أصبحت الزيارة الأربعينيّة في الوقت الرّاهن نبراسًا لجبهة الحقّ، وتلبيةً لِنِدَائَيْ «هل من ناصرٍ ينصرني» و«هل من ذابٍّ يذبّ عن حرم رسول الله 9»، بل صارت الزيارة الأربعينيّة بحضور هٰذا الحشد الغفير من عشّاق أبي عبد الله الحسين A من أرجاء العالم شوكةً في أعين أعداء الأمّة الإسلاميّة، وخنجرًا في نحورهم؛ فينبغي تعظيم هٰذه الشعيرة الإلٰهيّة وأن نربّي أجيالنا عليها.

وبعد هٰذه المقدّمة – في مشروعيّة الزيارة وأهمّيّتها – نشرع في الحديث عن الأبعاد والمضامين العقديّة في زيارة الأربعين:

متن الزيارة الأربعينيّة

اَلسَّلامُ عَلى وَلِيِّ الله وَحَبيبِهِ، اَلسَّلامُ عَلى خَليلِ اللهِ وَنَجيبِهِ، اَلسَّلامُ عَلى صَفِيِّ اللهِ وَابْنِ صَفِيِّهِ، اَلسَّلامُ عَلَى الْحُسَيْنِ الْمَظْلُومِ الشَّهيدِ، اَلسَّلامُ على أَسيرِ الْكُرُباتِ وَقَتيلِ الْعَبَراتِ. اللّٰهُمَّ إِنّي أَشْهَدُ أَنَّهُ وَلِيُّكَ وَابْنُ وَلِيِّكَ، وَصَفِيُّكَ وَابْنُ صَفِيِّكَ، الْفائِزُ بِكَرامَتِكَ، أَكْرَمْتَهُ بِالشَّهادَةِ، وَحَبَوْتَهُ بِالسَّعادَةِ، وَاجْتَبَيْتَهُ بِطيبِ الْوِلادَةِ، وَجَعَلْتَهُ سَيِّدًا مِنَ السّادَةِ، وَقائِدًا مِنَ الْقادَةِ، وَذائِدًا مِنْ الْذادَةِ، وَأَعْطَيْتَهُ مَواريثَ الْأَنْبِياءِ، وَجَعَلْتَهُ حُجَّةً عَلى خَلْقِكَ مِنَ الْأَوْصِياءِ، فَأَعْذَرَ فِي الدُّعَاءِ، وَمَنَحَ النُّصْحَ وَبَذَلَ مُهْجَتَهُ فِيكَ؛ لِيَسْتَنْقِذَ عِبادَكَ مِنَ الْجَهالَةِ وَحَيْرَةِ الضَّلالَةِ، وَقَدْ تَوازَرَ عَلَيْهِ مَنْ غَرَّتْهُ الدُّنْيا، وَباعَ حَظَّهُ بِالْأَرْذَلِ الأَدْنى، وَشَرى آخِرَتَهُ بِالثَّمَنِ الْأَوْكَسِ، وَتَغَطْرَسَ وَتَرَدَّى فى هَواهُ، وَأَسْخَطَكَ وَأَسْخَطَ نَبِيَّكَ، وَأَطاعَ مِنْ عِبادِكَ أَهْلَ الشِّقَاقِ وَالنِّفاقِ وَحَمَلَةَ الْأَوْزارِ، الْمُسْتَوْجِبينَ النّارَ،

فَجاهَدَهُمْ فِيكَ صابِرًا مُحْتَسِبًا حَتّى سُفِكَ في طاعَتِكَ دَمُهُ، وَاسْتُبيحَ حَريمُهُ. اللّٰهُمَّ فَالْعَنْهُمْ لَعْنًا وَبيلًا، وَعَذِّبْهُمْ عَذابًا أَليمًا. السَّلامُ عَلَيْكَ يَا بْنَ رَسُولِ اللهِ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَا بْنَ سَيِّدِ الْأَوْصِياءِ، أَشْهَدُ أَنَّكَ أَمينُ اللهِ وَابْنُ أَمينِهِ، عِشْتَ سَعيدًا وَمَضَيْتَ حَميدًا وَمُتَّ فَقيدًا مَظْلُومًا شَهيدًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ مُنْجِزٌ ما وَعَدَكَ، وَمُهْلِكُ مَنْ خَذَلَكَ، وَمُعَذِّبٌ مَنْ قَتَلَكَ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ وَفَيْتَ بِعَهْدِ اللهِ، وَجاهَدْتَ في سَبيلِهِ حَتّى أَتَاكَ الْيَقينُ، فَلَعَنَ اللهُ مَنْ قَتَلَكَ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ظَلَمَكَ، وَلَعَنَ الله أُمَّةً سَمِعَتْ بِذلِكَ فَرَضِيَتْ بِهِ، اللّٰهُمَّ إِنّي أُشْهِدُكَ أَنّي وَلِيٌّ لِمَنْ والاهُ، وَعَدُوٌّ لِمَنْ عاداهُ. بِأَبي أَنْتَ وَأُمّي يَا بْنَ رَسُولِ الله، أَشْهَدُ أَنَّكَ كُنْتَ نُورًا فِي الأَصْلابِ الشّامِخَةِ وَالأَرْحامِ الْمُطَهَّرَةِ، لَمْ تُنَجِّسْكَ الْجَاهِلِيَّةُ بِأَنْجاسِها، وَلَمْ تُلْبِسْكَ الْمُدْلَهِمّاتُ مِنْ ثِيابِها، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ مِنْ دَعائِمِ الدِّينِ وَأَرْكانِ الْمُسْلِمينَ وَمَعْقِلِ الْمُؤْمِنينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ الإِمَامُ الْبَرُّ التَّقِيُّ الرَّضِيُّ الزَّكِيُّ الْهادِي الْمَهْدِيُّ، وَأَشْهَدُ أَنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ وُلْدِكَ كَلِمَةُ التَّقْوى وَأَعْلامُ الْهُدى وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقى وَالْحُجَّةُ على أَهْلِ الدُّنْيا، وَأَشْهَدُ أَنّي بِكُمْ مُؤْمِنٌ وَبِإِيابِكُمْ، مُوقِنٌ بِشَرايِعِ ديني وَخَواتيمِ عَمَلي، وَقَلْبي لِقَلْبِكُمْ سِلْمٌ وَأَمْري لِأَمْرِكُمْ مُتَّبِعٌ، وَنُصْرَتي لَكُمْ مُعَدَّةٌ حَتّى يَأْذَنَ الله لَكُمْ، فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لا مَعَ عَدُوِّكُمْ، صَلَواتُ اللهِ عَلَيْكُمْ، وَعلى أَرْواحِكُمْ وَأَجْسادِكُمْ وَشاهِدِكُمْ وَغائِبِكُمْ وَظاهِرِكُمْ وَباطِنِكُمْ، آمينَ رَبَّ الْعالَمينَ.

الأبعاد العقديّة في متن الزيارة الأربعينيّة

يحتوي نصّ الزيارة الأربعينيّة المأثورة عن إمامنا الصادق A

أبعادًا اعتقاديّةً ينبغي للإنسان معرفتها والإيمان بها، وهي كالتالي:

البعد الأوّل: معرفة الله وتوحيده في زيارة الأربعين

إنّ الزيارات المأثورة عن أئمّة أهل البيت Δ في خصوص الإمام الحسين A مشحونةٌ بالمعارف التوحيديّة ومعرفة الله تعالى. فقد علّمنا أهل البيت Δ التكبير والتهليل والتحميد لله - عزّ وجلّ - قبل البدء بالزيارة، وفي هٰذا سرٌّ عظيمٌ، وهو أنّ التوحيد ومعرفة الله تعالى والتقرّب إليه هو الهدف الأسمى من زيارة المعصومين Δ؛ لكونهم محالّ معرفة الله، وأنّهم التامّون في محبّته تعالى، والمخلصون في توحيده سبحانه.

فقد ورد عن الإمام الصادق A أنّه قال في زيارة جدّه أبي عبد الله الحسين A: امش حافيًا، وعليك السكينة والوقار بالتكبير والتهليل والتمجيد والتحميد والتعظيم لله ولرسوله 9 وقل: «الحمد للّه الواحد المتوحِّد بالأمور كلّها، خالق الخلق لم يَعْزُبْ عنه شيءٌ من أمورهم، وعالمُ كلّ شيءٍ بغير التعليم»[1]، ثمّ امش قليلًا وقصّر خطاك، فإذا وقفتَ على التلّ واستقبلت القبلة قل: «لا إله إلّا الله في علمه منتهى علمه، ولا إله إلّا الله بعد علمه منتهى علمه، ولا إله إلا الله مع علمه منتهى علمه... والحمد لله بجميع محامده على جميع نعمه، ولا إله إلّا الله والله أكبر، وحقٌّ له ذٰلك. لا إله إلّا الله الحليم الكريم، لا إله إلّا الله العليّ العظيم، لا إله إلّا الله نور السماوات السبع ونور الأرضين السبع، ونور العرش العظيم، والحمد لله ربّ العالمين»[2].

وهٰذا إن دلّ على شيءٍ فإنّما يدلّ على مدى اهتمام العترة الطاهرة بمسألة التوحيد ومعرفة الله تعالى، وتعليمها لشيعتهم

1- المجلسيّ، محمّدباقر، بحار الأنوار، ج 98، ص 168.
2- المصدر نفسه.

ومحبّيهم في ضوء الزيارات المأثورة عنهم؛ حتّى لا يضيّعوا الصراط المستقيم، وهو العبوديّة لله تعالى: Πوَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌO[1]، وفي ذٰلك ردٌّ على من يرمي الزيارة بالشرك مع أنّها مفعمةٌ بمعاني التوحيد الخالص كما عرفت.

ومن ناحيةٍ أخرى فإنّ الغاية القصوى من خلق الإنسان عبوديّة الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2]، والعبوديّة الحقيقيّة لا تتحقّق إلّا في ضوء معرفة الله تبارك وتعالى، فمن كملت معرفته كملت عبوديّته لله سبحانه. والطريق الصحيح إلى معرفة الله هو معرفة الإمام المفترض الطاعة؛ لذا ورد في الحديث الصحيح أنّ الإمام الصادق A قال: «إنّ الحسين بن عليٍّ خرج على أصحابه فقال: أيّها الناس، إنّ الله – جلّ ذكره – ما خلق العباد إلّا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، وإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه. فقال له رجلٌ: يا بن رسول الله، بأبي أنت وأمّي، فما معرفة الله؟ قال معرفة أهل كلّ زمانٍ إمامهم الّذي تجب عليهم طاعته»[3].

قال العلّامة المجلسيّ في تفسير هٰذا الحديث الشريف: «إنّ معرفة الله إنّما يحصل من معرفة الإمام؛ إذ هو السبيل إلى معرفته تعالى»[4]. «ولمّا كانت المعارف الدينيّة العقليّة والسمعيّة تحصل من جهة الإمام، وكان الإمام آمرًا بذٰلك و داعيًا إليه، صحّ القول إنّ معرفة الإمام وطاعته هي معرفة الله سبحانه»[5].

من هنا يتّضح سبب اعتبار زيارة الأربعين من علامات

1- سورة يس: 61.
2- سورة الذاريات: 56.
3- المجلسيّ، محمّدباقر، بحار الأنوار، ج 5، ص 312.
4- المصدر نفسه.
5- المصدر نفسه، ج 23، ص 93.

المؤمن فيما ورد عن الإمام الحسن العسكريّ A، ويتّضح أيضًا لماذا ورد في الزيارة الأربعينيّة المأثورة عن الإمام الصادق A أنّ سيّد الشهداء A هو "مَعْقِلُ المؤمنين"[1]؟

فلعلّ السرّ هو ما ورد في الزيارة الأربعينيّة المأثورة من أوصافٍ وخصائص لمولانا أبي عبد الله الحسين A ألا وهي: "وليّ الله" ، "حبيب الله" ، "خليل الله" ، "نجيب الله" ، "صفيّ الله" ، "أمين الله"، وهٰذه الأوصاف السامية والعظيمة تكشف عن المنزلة الرفيعة والمكانة المرموقة للإمام A عند الله تعالى؛ فلا يمكن لأحدٍ أن يؤمن بالله – سبحانه – دون أن يؤمن بوليّه وحبيبه وخليله ونجيبه وصفيّه.

وبما أنّ "المعرفة" هي الركيزة الأساسيّة في حقيقة الإيمان، فلا معنى للإيمان إلّا في ضوء المعرفة، فكلّما زادت المعرفة زاد الإيمان، فمعرفة الإمام الحسين A بأنّه وجه الله ونور الله وخليفة الله، تؤدّي بطبيعة الحال إلى معرفة الله تعالى؛ لأنّ الإمام A هو المظهر الأتمّ لأسماء الله – تعالى – وصفاته العليا، كما ورد عن الإمام الصادق A في تفسير الآية الشريفة: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[2] قال A: «نَحْنُ وَاللهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى الَّذِي لَا يُقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَتِنَا»[3].

فلا يمكن معرفة الله حقّ معرفته إلّا في ضوء معرفة وليّه وحبيبه ونجيبه وصفيّه، كما ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة: «من عرفكم فقد عرف الله»، كما ورد عن الإمام الصادق A في زيارة

1- ابن طاووس، عليّ بن موسى، الإقبال بالأعمال الحسنة، ج 2، ص 590.
2- سورة الأعراف، 180.
3- العيّاشيّ، محمّد بن مسعودٍ، كتاب التفسير، ج 2، ص 42.

الإمـــام الحسين A: «السلام عليك يا مَن رضاه مِن رضى الرحمٰن، وسخطه مِن سخط الرحمٰن، السلام عليك يا أمين الله وحجّته، وبابَ الله، والدليل على الله، والداعي إلى الله»[1]؛ فمن عرف الإمام الحسين A بهٰذه الأوصاف العظيمة فقد عرف الله تعالى. وقد روي أيضًا عن الإمام الصادق A في زيارة جدّه أبي عبد الله الحسين A: «إرادة الربّ في مقادير أموره تهبط إليكم، وتصدر من بيوتكم»[2].

فالزيارة الأربعينيّة ترشدنا إلى أنّ الطريق القويم للتوحيد ومعرفة الله تعالى لا تنفكّ عن معرفة الإمام المفترض الطاعة ومعرفة أبي عبد الله الحسين A، فقد قال الإمام الصادق A: «نَحْنُ حُجَّةُ اللهِ فِي عِبَادِهِ، وَشُهَدَاؤُهُ عَلَى خَلْقِهِ، وَأُمَنَاؤُهُ عَلَى وَحْيِهِ، وَخُزَّانُهُ عَلَى عِلْمِهِ، وَوَجْهُهُ الَّذي يُؤْتَى مِنْهُ، وَعَيْنُهُ فِي بَرِيَّتِهِ، وَلِسَانُهُ النَّاطِقُ، وَبَابُهُ الَّذي يَدُلُّ عَلَيْهِ. نَحْنُ الْعَالِمُونَ بِأَمْرِهِ، وَالدَّاعُونَ إِلَى سَبِيلِهِ، بِنَا عُرِفَ الله، وَبِنَا عُبِدَ اللهُ. نَحْنُ الْأَدِلَّاءُ عَلَى اللهِ، وَلَوْلَانَا مَا عُبِدَ الله»[3].

قال بعض العلماء في تفسير هٰذه الفقرة الأخيرة من الحديث: «المقصود هو أنّ غيرنا أهل البيت لا يعبدون الله حقّ عبادته، ولا يعرفونه حقّ معرفته، ولا يوحّدونه حقّ توحيده؛ لأن توحيدهم لله توحيدٌ ناقصٌ مخلوطٌ بالشرك. فإنّ التوحيد الخالص مختصٌّ بالأولياء الكاملين، ومَن لم يوحّده حقّ توحيده لم يعرفه حقّ عرفانه، ومن لم يعرفه حقّ عرفانه لم يعبده حقّ عبادته؛ إذ العبادة فرع المعرفة، فمن كان معرفته ناقصةً كانت عبادته ناقصةً مشوبةً

1- الكفعميّ، إبراهيم بن عليّ العامليّ، البلد الأمين، ص 281.
2- الحرّ العامليّ، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة، ج 14، ص 492.
3- ابن بابويه، محمّد بن عليٍّ، التوحيد، ص 152.

بعبادة الغير»[1].

البعد الثاني: النبوّة في زيارة الأربعين

النبوة أصلٌ من أصول الدين وركنٌ من أركان الإيمان، فالزائر يشهد ويقرّ في زيارته لأبي عبد الله الحسين A بنبوّة سيّد الأنبياء المرسلين، وأمين وحيه وحبيبه محمّد بن عبد الله 9؛ ويشهد أيضًا في زيارته شهادةً صريحةً بنبوّة الأنبياء السابقين الّذين تحمّلوا أعباء النبوّة والرسالة كآدم صفوة الله، ونوحٍ أمين الله، وإبراهيم خليل الله، وموسى كليم الله، وعيسى روح الله – صلوات الله عليهم أجمعين – كما ورد في زيارة الوارث[2].

الحسين A وارث الأنبياء

وقد وردت في الزيارة الأربعينيّة المأثورة أنّ مواريث الأنبياء Δ قد أعطيت لمولانا أبي عبد الله الحسين A: «وَأَعْطَيْتَهُ مَوَارِيثَ الْأَنْبِيَاءِ»[3]، فالإمام A وارث الأنبياء Δ، ومستودع ودائع الرسالة والنبوّة من العلم والعصمة والكمالات النفسيّة.

إنّ كلمة (وَرِثَ) في اللغة تعني أن يكون الشّيء لقومٍ ثمّ يصير إلى آخرين بنَسَبٍ أو سَبَبٍ[4]. والشرط الأساسيّ في الميراث هو الانتساب المعبّر عنه "بموجِب الإرث"، فموجب الإرث في التوارث المادّيّ هو الانتساب السببيّ كالزوجيّة، والانتساب النسبيّ كالأبوّة والبنوّة. أمّا موجِب الإرث في التوارث المعنويّ هو الانتساب المعنويّ والروحيّ، كما هو في أبي عبد الله الحسين

1- صدر الدين الشيرازيّ، محمّد بن إبراهيم، شرح أصول الكافي، ج 4، ص 173 و174.
2- لجنة التأليف بمؤسّسة الإمام الهادي A، موسوعة زيارات المعصومين)، ص 156.
3- المصدر نفسه، ج 2، ص 590.
4- ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، ج 6، ص 105.

A الّـذي ورث مواريـث الأنبيـاء Δ بسـبب الانتسـاب المعنـويّ بالنبوّة[1]؛ لذا نقرأ في زيارت الوارث: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ آدَمَ صَفْوَةِ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ نُوحٍ نَبِيِّ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ مُوسَى كَلِيمِ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ عِيسَى رُوحِ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ مُحَمَّدٍ حَبِيبِ الله»[2].

إنّ مواريـث كـلّ الأنبيـاء Δ قـد اجتمعـت فـي النبـيّ الأكـرم محمّدٍ 9، ثـمّ أورثهـا أمير المؤمنين علـيّ بـن أبـي طالـبٍ A، وهو أورثها أبناءه المعصومين Δ كما روي عن الإمام الباقر A:

«إِنَّ اللـهَ – عَزَّ وَجَلَّ – جَمَـعَ لِمُحَمَّـدٍ 9 سُنَنَ النَّبِيِّـينَ مِـنْ آدَمَ - وَهَلُـمَّ جَـرًّا - إِلَـى مُحَمَّـدٍ 9. قِيـلَ لَـهُ: وَمَـا تِلْـكَ السُّـنَنُ؟ قَـالَ: عِلْـمُ النَّبِيِّـينَ بِأَسْـرِهِ، وَإِنَّ رَسُـولَ اللـهِ 9 صَـيَّرَ ذلِـكَ كُلَّـهُ عِنْـدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ A»[3].

كما ورد عن الإمام الصـادق A أنّـه قـال: «إِنَّ دَاوُودَ وَرِثَ عِلْمَ الْأَنْبِيَـاءِ، وَإِنَّ سُـلَيْمَانَ وَرِثَ دَاوُودَ، وإِنَّ مُحَمَّـدًا 9 وَرِثَ سُـلَيْمَانَ، وَإِنَّا وَرِثْنَا مُحَمَّدًا 9، وَإِنَّ عِنْدَنَا صُحُفَ إِبْرَاهِيمَ وَأَلْوَاحَ مُوسى»[4].

فالّـذين يبـايعون الإمـام الحسين A فـي الزيـارة الأربعينيّـة علـى ولايته ومحبّته وطاعته إنّما يبايعون رسول الله 9 والأنبياء كافّةً.

البعد الثالث: الإمامة في زيارة الأربعين

الإمامة في مدرسة أهل البيت Δ امتداد لخطّ النبوّة، بمعنـى أنّ وظـائف النبـوّة مـن حفـظ الـدين وتبيينـه وتفسـيره وتنفيـذه فـي

1- جوادي آملي، عبد الله، أدب فناء المقرّبين، ج 2، ص 84.
2- ابن طاووس، عليّ بن موسى، الإقبال بالأعمال الحسنة، ج 2، ص 63.
3- الكلينيّ، محمّد بن يعقوب، أصول الكافي، ج 1، ص 553.
4- المصدر نفسه، ج 1، ص 559.

المجتمع ثابتةٌ للإمام A؛ إذ هو الصائن للدين، والمتكفّل بأمره بعد رسول الله 9. إنّ الإمام عليّ بن موسى الرضا A يربط الإمامة بالنبوّة بشكلٍ دقيقٍ حيث يقول:

«إِنَّ الإمامةَ مَنْزِلَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِرْثُ الْأَوْصِيَاءِ، إِنَّ الإمامةَ خِلَافَةُ اللهِ وَخِلَافَةُ رَسُولِهِ 9 وَمَقَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ A وَخِلَافَةُ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ A»[1].

ويؤيّده ما ورد في المصادر العامّة والخاصّة عن النبيّ الأعظم 9: «حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ أَحَبَّ اللهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا، حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنَ الْأَسْبَاطِ»[2]. فكما أنّ رسول الله 9 سبب إحداث الدين، فإنّ الإمام الحسين A هو سبب إبقاء الدين واستدامته؛ لذٰلك جعل الله - تعالى - طاعة أولى الأمر بجنب طاعته وطاعة الرسول 9: Πيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطيعُوا اللهَ وَأَطيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْO[3].

كما ورد عن الإمام الصادق A : «إِنَّ دَاوُودَ وَرِثَ عِلْمَ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ سُلَيْمَانَ وَرِثَ دَاوُودَ، وإِنَّ مُحَمَّدًا 9 وَرِثَ سُلَيْمَانَ، وَإِنَّا وَرِثْنَا مُحَمَّدًا 9، وَإِنَّ عِنْدَنَا صُحُفَ إِبْرَاهِيمَ وَأَلْوَاحَ مُوسى»[4].

وممّا تضمّنته زيارة الأربعين في عقيدة الإمامة أمران مهمّان:

الأوّل: صفات الإمام A

1- الطبرسيّ، أحمد بن عليّ، الاحتجاج، ج 2، ص 435.
2- المجلسيّ، محمّدباقر، بحار الأنوار، ج 43 ، ص 261؛ الألبانيّ، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج 3، ص 301.
3- سورة النساء: 59.
4- المصدر نفسه، ج 1، ص 559.

وردت في الزيارة الأربعينيّة المأثورة عن الإمام الصادق A أوصافٌ وخصائص للإمام الحسين A تعدّ منشورًا جامعًا لتعريف مقام الإمامة والولاية، فمن عرف هٰذه الخصائص فقد عرف مكانة أهل البيت Δ وشؤونهم ودورهم في المنظومة المعرفيّة الدينيّة، ففد جاء في الزيارة: «وَأَشْهَدُ أَنَّكَ مِنْ دَعَائِمِ الدِّينِ وَأَرْكَانِ الْمُسْلِمِينَ وَمَعْقِلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ الإمام الْبَرُّ التَّقِيُّ الرَّضِيُّ الزَّكِيُّ الْهَادِي الْمَهْدِيُّ، وَأَشْهَدُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ وُلْدِكَ كَلِمَةُ التَّقْوَى وَأَعْلَامُ الْهُدَى وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَى وَالْحُجَّةُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا». وورد أيضًا: «وَجَعَلْتَهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِكَ مِنَ الْأَوْصِيَاءِ»[1].

هٰذه الفقرة من الزيارة تحتوي على أمرين:

- مقام الإمامة A ومكانته.
- خصائص الإمام وأوصافه المتميّزة.

أمّا مقام الإمام ومكانته؛ فلأنّ الإمام هو وصيّ رسول الله 9 وحجّته على خلقه، وهو من دعائم الدين وأركانه، فلو زال ركن الدين ودعامته فقد زال أصل الدين. والإمام ركن المسلمين أيضًا، والمسلمون يعتمدون عليه في دينهم ودنياهم. والإمام مَعقِل المؤمنين، بمعنى أنّ الإمام هو الحصن المنيع الّذي يحفظ المؤمنين عن المخاطر والزلّات والانحرافات.

وأمّا الخصائص؛ فلأنّ هٰذه المقامات السامية المذكورة للإمام A تستلزم أوصافًا وخصائص فريدةً ومتميّزةً، وقد أحصت الزيارة الأربعينيّة هٰذه الخصائص، وتتلخّص في خصلتين:

- العصمة والطهارة: «أَشْهَدُ أَنَّكَ الْإِمَامُ الْبَرُّ التَّقِيُّ الرَّضِيُّ الزَّكِيُّ الْهَادِي الْمَهْدِيُّ».
- العلم والهداية الخاصّة من الله تعالى: «أَعْلَامُ الْهُدَى وَالْعُرْوَةُ

1- ابن طاووس، عليّ بن موسى، الإقبال بالأعمال الحسنة، ج 2، ص 590.

الْوُثْقَى وَالْحُجَّةُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا»، «وَجَعَلْتَهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِكَ مِنَ الْأَوْصِيَاءِ». فإنّ العلم والهداية من لوازم كون الإمام حجّةً على الخلق أو كونه من أعلام الهداية. وقد ذكر الإمام عليّ بن موسى الرضا A الخصائص المذكورة في الزيارة الأربعينيّة بعباراتٍ أخرى:

«الْإِمَامُ مُطَهَّرٌ مِنَ الذُّنُوبِ، مُبَرَّأٌ مِنَ الْعُيُوبِ، مَخْصُوصٌ بِالْعِلْمِ، مَوْسُومٌ بِالْحِلْمِ، نِظَامُ الدِّينِ، وَعِزُّ الْمُسْلِمِينَ، وَغَيْظُ الْمُنَافِقِينَ، وَبَوَارُ الْكَافِرِينَ، الإمام وَاحِدُ دَهْرِهِ، لَا يُدَانِيهِ أَحَدٌ، وَلَا يُعَادِلُهُ عَالِمٌ، وَلَا يُوجَدُ لَهُ بَدَلٌ، وَلَا لَهُ مِثْلٌ وَ لَا نَظِيرٌ»[1].

الثاني: العقيدة المهدويّة

هناك علاقةٌ وطيدةٌ وصلة وثيقةٌ بين الملحمة الحسينيّة ومشروع المهدويّة في آخر الزمان، ويمكن أن نستكشف ملامح هٰذا الارتباط العميق في الزيارة الأربعينيّة من خلال النصّ التالي:

«وَأَشْهَدُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ وُلْدِكَ كَلِمَةُ التَّقْوَى، وَأَعْلَامُ الْهُدَى، وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَى، وَالْحُجَّةُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا. وَأَشْهَدُ أَنِّي بِكُمْ مُؤْمِنٌ وَبِإِيَابِكُمْ، مُوقِنٌ بِشَرَائِعِ دِينِي[2]، وَخَوَاتِيمِ عَمَلِي، وَقَلْبِي لِقَلْبِكُمْ سِلْمٌ، وَأَمْرِي لِأَمْرِكُمْ مُتَّبِعٌ، وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ، حَتَّى يَأْذَنَ اللهُ لَكُمْ، فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لَا مَعَ عَدُوِّكُمْ».

من اختصاصات المولى أبي عبد الله الحسين A وميزاته هي أنّ الله جعل الإمامة في وُلده، والتاسع من وُلده هو الإمام المهديّ A. وقد وصفت الزيارة الأربعينيّة المأثورة الأئمّةَ من ولد الحسين A – وفي ضمنهم الإمام المهديّ ϕ – بأنّهم كلمة التقوى، والعروة

1-الطبرسيّ، أحمد بن عليّ، الاحتجاج، ج 2، ص 435.

2- بشرائع ديني: لعلّ المعنى أنّ شرائع ديني وخواتيم عملي تشهد معي بذٰلك على سبيل المبالغة والمجاز، أي أنّهما موافقان لما أمرتم به، شاهدان لي بأنّي بكم مؤمنٌ.

الوثقى، والحجّة على أهل الدّنيا.

وهناك عبارة في الزيارة الأربعينيّة تصرّح بالقضيّة المهدويّة، ألا وهي: «وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّة حَتَّى يَأْذَنَ اللهُ لَكُمْ»، أي: حتّى يأذن الله بخروج الإمام المهديّ ϕ وتحقيق الدولة الكريمة.

هٰذه الفقرة من الزيارة الأربعينيّة تحدّد صفات المنتظرين للدولة الكريمة، ألا وهي: الإيمان بالأئمّة الطاهرين Δ: «إِنِّي بِكُمْ مُؤْمِنٌ»، واليقين برجعتهم: «وبِإِيَابِكُمْ مُوقِنٌ»، والتسليم القلبيّ لما يعتقد به الأئمّة الطاهرون Δ: «وَقَلْبِي لِقَلْبِكُمْ سِلْمٌ»، والاتّباع لأوامرهم: «وَأَمْرِي لِأَمْرِكُمْ مُتَّبِعٌ»، وإعداد النصرة لهم: «وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ»، والمعيّة المستمرّة لهم والبراءة من أعدائهم: «فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لَا مَعَ عَدُوِّكُمْ».

فلا تكفي محبّة الأئمّة الطاهرين أو زيارة قبورهم أو إقامة العزاء لهم من دون الاتّباع الحقيقيّ والعمل بتعاليمهم، كما يقول القرآن الكريم: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[1]، ويقول – جلّ ثناؤه – أيضًا: Πفَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّيO[2].

«وَقَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ A: إِنِّي مِنْ شِيعَتِكُمْ، فَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ A: يَا عَبْدَ اللهِ، إِنْ كُنْتَ لَنَا فِي أَوَامِرِنَا وَزَوَاجِرِنَا مُطِيعًا فَقَدْ صَدَقْتَ، وَإِنْ كُنْتَ بِخِلَافِ ذَلِكَ فَلَا تَزِدْ فِي ذُنُوبِكَ بِدَعْوَاكَ مَرْتَبَةً شَرِيفَةً لَسْتَ مِنْ أَهْلِهَا، لَا تَقُلْ لَنَا أَنَا مِنْ شِيعَتِكُمْ، وَلٰكِنْ قُلْ أَنَا مِنْ مُوَالِيكُمْ وَمُحِبِّيكُمْ وَمُعَادِي أَعْدَائِكُمْ وَأَنْتَ فِي خَيْرٍ وَإِلَى خَيْرٍ»[3].

وقال رجلٌ للحسين A إنّه من شيعتهم، فقال له A: «اتّق الله ولا تدّعينّ شيئًا يقول الله لك: كذبت وفجرت في دعواك، ولٰكن

1- سورة آل عمران: 31.
2- سورة إبراهيم: 36.
3- المجلسيّ، محمّدباقر، بحار الأنوار، ج 65، ص 156.

قل: أنا من مواليكم ومحبّيكم»[1]. فالمقياس الحقيقيّ عند أهل البيت Δ ليس الادّعاء والانتماء، بل هو التبعيّة والعمل والسلوك الخارجيّ، سيّما فيما يرتبط بأداء الواجبات – كأداء الصلاة في أوقاتها، وصلة الأرحام، وأداء الحقوق الشرعيّة وحقوق الناس، وأداء الأمانات وغير ذٰلك – والانتهاء عن المحرّمات، كالكذب والنظر إلى المحرّمات والغيبة والنميمة والفتنة بين المؤمنين واتّباع أصحاب الدعوات المستحدثة والضالّة، وتشويه سمعة مذهب أهل البيت Δ ببعض الممارسات والتصرّفات المشبوهة ونحو ذٰلك.

وعلى كلّ حالٍ فقد ورد التأكيد على علاقة الإمام المهديّ بجدّه الحسين A في زياراتٍ أخرى، من قبيل ما ورد في زيارة عاشوراء؛ إذ إنّ المؤمن يسأل الله المعيّة مع الإمام المنصور، وهو مهديّ آل محمّدٍ 9 في طلب ثار الإمام الحسين A: «فَأَسْأَلُ اللهَ الّذي أَكْرَمَ مَقَامَكَ وَأَكْرَمَنِي بِكَ أَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكَ مَعَ إِمَامٍ مَنْصُورٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ 9». وورد أيضًا في فقرةٍ أخرى: «وَأَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكُمْ مَعَ إِمَامٍ مَهْدِيٍّ ظَاهِرٍ نَاطِقٍ مِنْكُمْ».

النهضة المهدويّة استمرار للنهضة الحسينيّة

إنّ النضهة المهدويّة مشحونةٌ ومليئةٌ بالشعائر الحسينيّة، ويمكن القول بحقٍّ أنّ النهضة المهدويّة هي استمرارٌ للنهضة الحسينيّة؛ فقد تبلورت وتجسّدت علاقة الإمام المهديّ ϕ بجدّه المظلوم الإمام الحسين A في عدّة أمور:

أ- الهدف المشترك بين الإمام المهديّ ϕ والإمام

1- المصدر نفسه.

الحسين A: فالأهداف السامية لقيام الإمام المهديّ ϕ هي نفسها الّتي قام لأجلها جدّه الإمام الحسين A، فالأهداف المعلنة الّتي خرج من أجلها الإمام الحسين A هي طلب الإصلاح في أمّة جدّه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والسير بسيرة جدّه رسول الله 9، فكذٰلك ابنه الإمام المهديّ A، إذ يخرج لتحقيق هٰذه الأهداف والمقاصد الشريفة نفسها.

ب- أعداء الإمام المهديّ ϕ هم من ذرّيّة أعداء أبي عبد الله الحسين A في كربلاء:

«عَنْ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ صَالِحٍ الْهَرَوِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا A يَا بْنَ رَسُولِ اللهِ مَا تَقُولُ فِي حَدِيثٍ رُوِيَ عَنِ الصَّادِقِ A أَنَّهُ قَالَ إِذَا خَرَجَ الْقَائِمُ قَتَلَ ذَرَارِيَّ قَتَلَةِ الْحُسَيْنِ A بِفِعَالِ آبَائِهَا فَقَالَ A هُوَ كَذٰلك. فَقُلْتُ فَقَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَ: Πولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىO مَا مَعْنَاهُ؟ فَقَالَ صَدَقَ اللهُ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ لٰكِنَّ ذَرَارِيَّ قَتَلَةِ الْحُسَيْنِ يَرْضَوْنَ أَفْعَالَ آبَائِهِمْ وَيَفْتَخِرُونَ بِهَا وَمَنْ رَضِيَ شَيْئًا كَانَ كَمَنْ أَتَاهُ وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا قُتِلَ فِي الْمَشْرِقِ فَرَضِيَ بِقَتْلِهِ رَجُلٌ فِي الْمَغْرِبِ لَكَانَ الرَّاضِي عِنْدَ اللهِ شَرِيكَ الْقَاتِلِ وَإِنَّمَا يَقْتُلُهُمُ الْقَائِمُ إِذَا خَرَجَ لِرِضَاهُمْ بِفِعْلِ آبَائِهِمْ. قَالَ فَقُلْتُ لَهُ بِأَيِّ شَيْءٍ يَبْدَأُ الْقَائِمُ فِيهِمْ إِذَا قَامَ؟ قَالَ يَبْدَأُ بِبَنِي شَيْبَةَ وَيَقْطَعُ أَيْدِيَهُمْ لِأَنَّهُمْ سُرَّاقُ بَيْتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»[1].

ج- شعار الإمام المهديّ ϕ وأنصاره عندما يقومون هو: (يالثارات الحسين)[2].

1- ابن بابويه، محمّد بن عليّ، علل الشرائع، ج 1، ص 229، الباب 164؛ ابن بابويه، محمّد بن عليّ، عيون أخبار الرضا A، ج 1، ص 273.

2- ابن طاووس، عليّ بن موسى، الإقبال بالأعمال الحسنة، ج 2، ص 545.

إذا خرج القائم A يطلب بدم الحسين A، فهو الطالب بدم المقتول بكربلاء:

«عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الصادق A فِي قَوْلِهِ «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا» قَالَ: إِنَّ الْعَامَّةَ يَقُولُونَ نَزَلَتْ فِي رَسُولِ اللهِ9 لَمَّا أَخْرَجَتْهُ قُرَيْشٌ مِنْ مَكَّةَ وَإِنَّمَا هِيَ لِلْقَائِمِ A إِذَا خَرَجَ يَطْلُبُ بِدَمِ الْحُسَيْنِ A وَ هُوَ قَوْلُهُ: نَحْنُ أَوْلِيَاءُ الدَّمِ وَطُلَّابُ الدِّيَة»[1].

د- التلّهف والتأسّف والبكاء على الحسين A صباحًا ومساءً:

قد ورد في زيارة الناحية المقدّسة أنّ الإمام المهديّ ϕ يتحسّر من أنّ الدهور أخّرته عن نصرة جدّه أبي عبد الله الحسين A، فالإمام الحجّة ϕ يبدي أحاسيسه الجيّاشة وعواطفه اللطيفة لمظلوميّة الإمام الحسين A ويقول:

«فَلَئِنْ أَخَّرَتْنِي الدُّهُورُ، وَعَاقَنِي عَنْ نَصْرِكَ الْمَقْدُورُ، وَلَمْ أَكُنْ لِمَنْ حَارَبَكَ مُحَارِبًا، وَلِمَنْ نَصَبَ لَكَ الْعَدَاوَةَ مُنَاصِبًا، فَلَأَنْدُبَنَّكَ صَبَاحًا وَمَسَاءً، وَلَأَبْكِيَنَّ عَلَيْكَ بَدَلَ الدُّمُوعِ دَمًا، حَسْرَةً عَلَيْكَ وَتَأَسُّفًا عَلَى مَا دَهَاكَ وَتَلَهُّفًا، حَتَّى أَمُوتَ بِلَوْعَةِ[2] الْمُصَابِ وَغُصَّةِ الِاكْتِئَاب»[3].

هـ - إنّ الشجرة الطيّبة الّتي غرست في يوم غدير خمٍّ وهي شجرة ولاية أهل البيت)، وسُقِيَتْ بدم أبي عبد الله الحسين A بكربلاء، هٰذه الشجرة المباركة – وإن كانت تؤتي أكلها كلّ حينٍ بأذن ربّها – تؤتي ثمراتها اليانعة والطيّبة في عهد حكومة الإمام المهديّ ϕ، فقيام القائم هو العلّة الغائيّة للنهضة الحسينيّة، بمعنى أنّ الهدف من قيام الإمام الحسين A هو إحياء الدين ومعالمه، وتجديد الفرائض والسنن واستئصال الظلم والفساد، وهٰذا الهدف

1- القمّيّ، عليّ بن إبراهيم، تفسير القمّيّ، ج 2، ص 85.
2- اللوعة: حرقة الحزن.
3- ابن المشهديّ، محمّد بن جعفرٍ، المزار الكبير، ص 501.

المقدس سوف يتحقق فى عصر ظهور الإمام المهديّ ϕ .

و- أنّ هٰذا الحشد الغفير من الزّوار في أربعينيّة الإمام الحسين الخالدة إنّما يأتي كلّ عامٍ لتجديد العهد والبيعة مع الإمام المهديّ ϕ عند قبر جدّه أبي عبد الله الحسين A، وإعلان التأهّب والتهيّؤ لنصرة إمامٍ منصورٍ، وكذٰلك إعلان التضحية من أجل الأهداف السامية المهدويّة، والزيارة الأربعينيّة اليوم تعدّ أكبر مظاهرةٍ بشريّةٍ في العالم، بل وفي تاريخ التشيّع والإسلام لإعلان البيعة والنصرة للإمام الحجّة ϕ.

البعد الرابع: المعاد في الزيارة الأربعينيّة

إنّ الأسس العقديّة عناصر مترابطةٌ لا يمكن فصل بعضها عن بعضٍ، فالتوحيد والنبوّة والمعاد والإمامة تشكّل منظومةً واحدةً متماسكةً، وإنّ بحث المعاد والاعتقاد بيوم الجزاء من المعارف الرئيسة الّتي وردت في زيارات المعصومين Δ، خصوصًا في زيارة المولى أبي عبد الله الحسين A.

حاول أئمّة أهل البيت Δ ترسيخ عقيدة المعاد وما يرتبط بالحياة الأخرويّة في قلوب أتباعهم وشيعتهم من خلال الأدعية والزيارات، فقد ورد في زيارة أبى عبد الله الحسين A عن الإمام الصادق A: «اللّٰهمّ إنّي أشهدك وكفى بك شهيدًا، فاشهد لي أنّي أشهد أنّك حقٌّ، وأنّ رسولك حقٌّ... وأنّ نارك حقٌّ، وأنّ جنّتك حقٌّ، وأنّك مميت الأحياء ومحيى الموتى، وأنّك باعث من في القبور، وأنّك جامع الناس ليومٍ لا ريب فيه، وأنّك لا تخلف الميعاد»[1].

من ناحيةٍ أخرى يحشر الناس يوم القيامة مع إمامهم الّذي

1- المجلسيّ، محمّدباقر، بحار الأنوار، ج 98، ص 168.

كانوا يتّبعونه في الدنيا كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[1]، فمن كان إمامه وقائده[2] في الدنيا أبو عبد الله الحسين A، فالإمام A إمامه ورائده وقائده غدًا يوم الفزع الأكبر، وسيهديه إلى الجنّة والسعادة، ومن كان إمامه ومقتداه في الدنيا الطواغيت والفجّار فهم أئمّته يوم القيامة، كما في قوله - تعالى - في شأن فرعون: Πيَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُO[3].

والسرّ في هٰذه المعيّة والعلاقة هو أنّ الإمام المفترض الطاعة هو الصراط في الآخرة، فمن تمسّك بإمامه أبي عبد الله الحسين A في الدنيا مرّ على الصراط بسلامةٍ وعافيةٍ، ومن تخلّف عن إمامه المفترض الطاعة في الدنيا، ولم يتّبعه فقد زلّ عن الصراط وتردّى في النار وهوى.

والأخبار في تفسير الصراط بالأئمّة Δ وولايتهم كثيرةٌ، فالصراط ما يؤدّي الناس إلى مقصودهم، فهم صراط الله المستقيم، الّذي يوصلنا إلى الله وطاعته وقربه ورضوانه بولاية أهل
البيت Δ، والقول بإمامتهم وطاعتهم، وصراط الآخرة صورةٌ لصراط الدنيا، فمن استقام على هٰذا الصراط في الدنيا اجتاز صراط الآخرة آمنًا إلى الجنّة، كما روى الصدوق في (معاني الأخبار) بإسناده عن أبي عبد الله A سئل عن الصراط فقال: «هو الطريق إلى معرفة الله عزّ وجل، وهما صراطان صراطٌ في الدنيا وصراطٌ في الآخرة، فأمّا الصراط الّذي في الدنيا فهو الإمام

1- سورة النساء: 49.
2- كما ورد في الزيارة الأربعينيّة: «وَجَعَلْتَهُ سَيِّدًا مِنَ السَّادَةِ، وَقَائِدًا مِنَ الْقَادَةِ، وَذَائِدًا مِنَ الذَّادَةِ».
3- سورة هودٍ: 98.

المفروض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرّ على الصراط الّذي هو جسر جهنّم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلّت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردّى في نار جهنّم»[1].

وممّا ورد في الزيارة الأربعينيّة مسألة الشقاوة الأخرويّة لأعداء أبي عبد الله الحسين A الّذين غرّتهم الدنيا، فشروا آخرتهم بثمنٍ بخسٍ، وأسخطوا النبيّ محمّدًا 9 بقتل ابنه الشريف: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنَزَلَ اللهُ﴾[2].

قال الإمام الصادق A في الزيارة الأربعينيّة في شأن قتلة أبي عبد الله الحسين A:

«وَقَدْ تَوَازَرَ عَلَيْهِ مَنْ غَرَّتْهُ الدُّنْيَا، وَبَاعَ حَظَّهُ بِالْأَرْذَلِ الْأَدْنَى، وَشَرَى آخِرَتَهُ بِالثَّمَنِ الْأَوْكَسِ، وَتَغَطْرَسَ وَتَرَدَّى فِي هَوَاهُ، وَأَسْخَطَ نَبِيَّكَ وَأَطَاعَ مِنْ عِبَادِكَ أَهْلَ الشِّقَاقِ وَالنِّفَاقِ وَحَمَلَةَ الْأَوْزَارِ الْمُسْتَوْجِبِينَ النَّار»[3].

وفي قبال هؤلاء الخاسرين وأهل الشقاق، الرابحون وأهل السعادة الّذين نصروا الإمام الحسين A، بتعظيم شعائره والبكاء على مصائبه، والمشي على أقدامهم لزيارته، فهم في الدرجات العالية في الآخرة، وتشملهم شفاعةُ أبي عبد الله الحسين A، كما صرّحت الزيارة الأربعينيّة بمقام شفاعته A: «فَإِنَّ لَكَ عِنْدَ اللهِ مَقَامًا مَعْلُومًا وَشَفَاعَةً مَقْبُولَةً»[4]. وقد وصف الإمام عليّ بن موسى الرضا A لابن شبيبٍ مكانة الّذين يعظّمون الشعائر الحسينيّة، في الآخرة قائلًا:

«يَا بْنَ شَبِيبٍ، إِنْ بَكَيْتَ عَلَى الْحُسَيْنِ A حَتَّى يَصِيرَ دُمُوعُكَ

1- ابن بابويه، محمّد بن عليّ، معاني الأخبار، ص 32؛ المجلسيّ، محمّد باقر، مرآة العقول، ج 5، ص 26.

1- سورة البقرة: 90 .

3- ابن طاووس، عليّ بن موسى، الإقبال بالأعمال الحسنة، ج 2، ص 590.

4- المصدر السابق، ج 3، ص 104.

عَلَى خَدَّيْكَ غَفَرَ الله لَكَ كُلَّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتَهُ صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا. يَا بْنَ شَبِيبٍ إِنْ سَرَّكَ أَنْ تَلْقَى اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - وَلَا ذَنْبَ عَلَيْكَ فَزُرِ الْحُسَيْنَ A. يَا بْنَ شَبِيبٍ إِنْ سَرَّكَ أَنْ تَسْكُنَ الْغُرَفَ الْمَبْنِيَّةَ فِي الْجَنَّةِ مَعَ النَّبِيِّ وَآلِهِ صلّى الله عليهم فَالْعَنْ قَتَلَةَ الْحُسَيْنِ A. يَا بْنَ شَبِيبٍ إِنْ سَرَّكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ مِنَ الثَّوَابِ مِثْلَ مَا لِمَنِ اسْتُشْهِدَ مَعَ الْحُسَيْنِ فَقُلْ مَتَى ذَكَرْتَهُ يا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا. يَا بْنَ شَبِيبٍ إِنْ سَرَّكَ أَنْ تَكُونَ مَعَنَا فِي الدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنَ الْجِنَانِ فَاحْزَنْ لِحُزْنِنَا وَافْرَحْ لِفَرَحِنَا عَلَيْكَ بِوَلَايَتِنَا، فَلَوْ أَنَّ رَجُلًا تَوَلَّى حَجَرًا لَحَشَرَهُ الله مَعَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

1- المصدر نفسه، ج 2، ص 545.

الخاتمة

تبين في هٰذه الكرّاسة مشروعيّة زيارة الأربعين واستحبابها عن طريق النصوص الّتي تشدّد على زيارة الحسين A، وقد عبّر عنها الفقهاء بأنّها من ضروريّات المذهب والدين، كما تدلّ العمومات من القرآن والسنّة على تعظيم شعائر الله وتعظيم حرماته، وأنّها من مصاديق الهجرة إلى الله تعالى، وكذٰلك فإنّ الروايات الواردة عن الإمام العسكريّ A تنصّ على أهمّيّة هٰذه الزيارة.

كما تبيّن أنّ للزيارة الأربعينيّة أبعادًا ومضامين عقديّةً، وتتناول هٰذه الزيارة المأثورة عن الإمام الصادق A زبدة أصول الدين، من التوحيد والنبوّة والإمامة والمعاد، فهي دورةٌ وجيزةٌ من العقائد الحقّة الّتي ينبغي لكلّ مؤمنٍ أن يتبنّاها ويعتقد بها.

ولا شكّ أن معرفة الإمام المفترض الطاعة من جهةٍ أنّه (حجّة الله) و(صفيّ الله) و(حبيب الله) تؤدّي إلى معرفة الله تعالى.

وقد ورد أيضًا في الزيارة الأربعينيّة أنّ الإمام الحسين A وارث مواريث الأنبياء Δ من العلم والعصمة والكمالات النفسيّة، فمن عرف الإمام A فقد عرف أنبياء الله تعالى.

وذكرنا أنّ ولاية المولى أبي عبد الله الحسين A هي امتدادٌ لخطّ النبوّة، ولها علاقةٌ وثيقةٌ بالقضيّة المهدويّة؛ فمن سلك سبيل محبّته وولائه وطاعته فسوف يقطف ثمارها اليانعة في الدنيا، وغدًا يوم الفزع الأكبر.

اللّٰهمّ ارزقنا شفاعة الحسين A يوم الورود

المصادر

القرآن الكريم
نهج البلاغة
1. ابن سينا، الحسين، رسائل ابن سينا، قمّ المقدّسة، نشر بيدار، 1400 هـ.
2. ابن السكّيت، يعقوب بن إسحاق، إصلاح المنطق، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون، القاهرة، دار المعارف، 1949م، الطبعة الرابعة.
3. ابن المشهديّ، محمّد بن جعفرٍ، المزار الكبير، قمّ المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، 1419هـ.
4. ابن بابويه، محمّد بن عليّ، التوحيد، تصحيح هاشم الحسينيّ، قمّ المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، 1398هـ.
5. ابن بابويه، محمّد بن عليّ، علل الشرائع، قمّ المقدّسة، مكتبة داوري، 1966.
6. ابن بابويه، محمّد بن عليّ، عيون أخبار الرضا، تصحيح مهدي لاجوردي، طهران، نشر جهان، 1378 هـ.
7. ابن بابويه، محمّد بن عليّ، معاني الأخبار، تصحيح علي أكبر غفّاري، قمّ المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، 1403هـ.
8. ابن شهر آشوب، محمّد بن عليّ، مناقب آل أبي طالبٍ، نشر العلّامة، قمّ المقدّسة، 1379 هـ.
9. ابن طاووس، عليّ بن موسى، الإقبال بالأعمال الحسنة، تصحيح جواد قيومي الأصفهاني، قمّ المقدّسة، مكتب الإعلام الإسلاميّ، 1997.
10. ابن فارس القزوينيّ، أحمد بن فارس بن زكريّا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمّد هارون، بيروت، دار الفكر، 1399هـ.
11. الإربليّ، عليّ بن عيسى،كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، تصحيح رسولي محلّاتي، تبريز، نشر بني هاشم، 1381 هـ.
12. الألبانيّ، محمّد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1422 هـ.

13. الجوهريّ، إسماعيل بن حمّادٍ، الصحاح، تحقيق إميل بديع يعقوب، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1420 هـ، الطبعة الأولى.
14. الحرّ العامليّ، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة، قمٍّ المقدّسة، مؤسّسة آل البيت □، 1409 هـ.
15. الحلّيّ، ورّام بن أبي فراسٍ، مجموعة ورّام، قمّ المقدّسة، مكتبه فقيه، 1410هـ.
16. الراغب الأصفهانيّ، الحسين بن محمّدٍ، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق نديم مرعشي، المكتبة المرتضويّة.
17. السيوريّ، المقداد بن عبد الله ، الاعتماد في شرح واجب الاعتقاد، تحقيق ضياء الدين بصري، قمّ المقدّسة، مجمع البحوث الإسلاميّة، 1412 هـ.
18. صدر الدين الشيرازيّ، محمّد بن إبراهيم، شرح أصول الكافي، تصحيح محمد خواجوي، طهران، مؤسّسة المطالعات والبحوث الثقافيّة، 2004.
19. الطبرسيّ، أحمد بن عليّ، الاحتجاج على أهل اللجاج، تصحيح محمدباقر الخرسان، مشهد المقدّسة، نشر المرتضى، 403 هـ.
20. الطبرسيّ، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، بيروت، دار المعرفة، 1406 هـ.
21. الطّريحيّ، فخر الدين، مجمع البحرين، تحقيق أحمد الحسيني، قمّ المقدّسة، مكتب نشر الثّقافة الإسلاميّة، 1408 هـ، الطبعة الثانية.
22. الطوسيّ، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد وسلاح المتعبّد، بيروت، مؤسّسة فقه الشيعة، 1411 هـ.
23. العياشيّ، محمّد بن مسعودٍ، كتاب التفسير، تحقيق رسولي محلّاتي، طهران، المطبعة العلمية، 1380.
24. الفراهيديّ، الخليل بن أحمد، ترتيب كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، قمّ المقدّسة، انتشارات اسوه، 1414 هـ، الطبعة الأولى.
25. القمّيّ، عليّ بن إبراهيم، تفسير القمّيّ، تصحيح موسوي الجزائريّ، قمّ المقدّسة، دار الكتاب، 1404 هـ.
26. الكفعميّ، إبراهيم بن عليٍّ العامليّ، البلد الأمين والدرع الحصين، بيروت، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، 1418 هـ.

27. الكلينيّ، محمّد بن يعقوب، أصول الكافي، قمّ المقدّسة، دار الحديث، 1429هـ.
28. المجلسيّ، محمّدباقر بن محمّد تقي، ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار، تصحيح مهدي رجائي، قم المقدسة، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، 1406هـ.
29. المجلسيّ، محمّدباقر بن محمّدتقي، بحار الأنوار، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، 1403 هـ، الطبعة الثانية.
30. المراغيّ، مير عبد الفتاح بن عليٍّ الحسينيّ، العناوين الفقهيّة، قمّ المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، 1417 هـ.
31. المرتضى، عليّ بن الحسين، رسائل الشريف المرتضى، تحقيق مهدي رجائي، قمّ المقدّسة ، دار القرآن الكريم، الطبعة الأولى، 1405هـ.
32. مؤسّسة الإمام الهادي، موسوعة زيارات المعصومين)، قمّ المقدّسة، 1428 هـ، الطبعة الخامسة.

المحتويات

كلمة المؤسّسة 4
المقدّمة 7
مشروعيّة الزيارة الأربعينيّة 9
أهمّيّة الزيارة الأربعينيّة 13
متن الزيارة الأربعينيّة 16
الأبعاد العقديّة في متن الزيارة الأربعينيّة 17
البعد الأوّل: معرفة الله وتوحيده في زيارة الأربعين 18
البعد الثاني: النبوّة في زيارة الأربعين 22
الحسين A وارث الأنبياء 22
البعد الثالث: الإمامة في زيارة الأربعين 23
الأوّل: صفات الإمام A 24
الثاني: العقيدة المهدويّة 26
النهضة المهدويّة استمرار للنهضة الحسينيّة 28
البعد الرابع: المعاد في الزيارة الأربعينيّة 31
الخاتمة 35
المصادر 37
المحتويات 40